



دروس الحديث الشريف

الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

سلسلة الأحاديث القدسية

((الذكر))

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا متقبلا يا أكرم الأكرمين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرِ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً)). [البخاري].

في الحديث ثلاث فقرات:

الفقرة الأولى: تدعونا إلى حسن الظن بالله تعالى، ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي

إذا ظننت بأنه الله تعالى سيكرمك فسيكرمك، إذا ظننت أن الله تعالى سيرقيقك فسيرقيقك، إذا ظننت أن الله تعالى لا يستطيع أن يغفر ذنوبك، لأن ذنوبك كثيرة، أنا عند ظن عبدي بي؛ لكن فليظن أحدنا بربه ظنا حسنا، مهما كنت مذنبا فعفو الله أكبر، ومهما كنت مسيئا فلفظ الله أكبر، ومهما كنت بعيدا، فقربك من الله تعالى سريع أكثر.

وأهل الشام يقولون: الصلحة تُخلق بلمحة.

لا تدري متى يفتح لك الباب، لكن أنت الزم الباب ومهما كنت بعيدا؛ وأظنكم تحفظون حديث الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا.

عبدالله بن عمرو قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: إن الله جل ذكره لا يتعظمه ذنب غفره إن رجلاً كان فيمن كان قبلكم قتل ثمانياً وتسعين نفساً فأتى راهباً فقال: إني قتلت ثمانياً وتسعين نفساً فهل تجد لي من توبة فقال له: قد أسرفت فقام إليه فقتله ثم أتى راهباً آخر فقال: إني قتلت تسعاً وتسعين نفساً فهل تجد لي من توبة فقال: لا قد أسرفت فقام إليه فقتله ثم أتى راهباً آخر فقال: إني قتلت مائة نفس هل تجد لي من توبة فقال قد أسرفت وما أدري ولكن ههنا قريتان قرية يقال لها بصرة والأخرى يقال لها كفرة فأما بصرة فيعملون عمل الجنة لا يثبت فيها غيرهم وأما كفرة فيعملون عمل أهل النار لا يثبت فيها غيرهم فانطلق إلى أهل بصرة فان ثبت فيها وعملت مثل أهلها فلا تشك في توبتك فانطلق يريدوها حتى إذا كان بين القريتين أدركه الموت فسألت الملائكة ربها عنه فقال: انظروا أي القريتين كان أقرب فاكتبوه من أهلها فوجدوه أقرب إلى بصرة بقيد أمثلة فكتب من أهلها. [رواه الطبراني].

ولا أظن أن بيننا رجلاً قد قتل تسعاً وتسعين نفساً!.

وحشي: هذا الصحابي الجليل، قبل إسلامه (كما تعلمون) قتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومزق جسده تمزيقاً، وأخرج كبده وقدمه لهند، والنبي صلى الله عليه وسلم تأثر جداً، وصلى على حمزة مع كل الشهداء، وبكى عليه بكاءً مريراً، ومع هذا عندما تاب وحشي، تاب الله عليه.

الصحابة بعضهم قبل الإسلام كان قد قتل، وبعضهم كان قد زنى، وبعضهم كان آكل ربا، وبعضهم أو كثير منهم، كانوا عباد أصنام، ثم صاروا: خير أمة أخرجت للناس، وذلك عندما أقبلوا على الله، أقبل الله تعالى عليهم.

والآن أيها السادة: أنا، أنت أنت، مهما كنا بعيدين عن الله عز وجل، تعالوا نعود، ونحسن ظننا بالله تعالى، والله عز وجل يريد منا أن نعود، وهو ينتظرنا، وإن كنا نحن في

كل ليلة ننام عنه، لكن هو رب العالمين في كل ليلة ينادينا، يقول: هل من تائب فأتوب عليه. الله تعالى يطلبنا.

مع أنك أنت تسيء، لكن هو لا يزال يحرك لك قلبك؛ العجيب أنك تنظر بعينك إلى المعصية، وهو يرفع لك عينك، يعني لو كانت أرزاقنا بأيدي بعضنا البعض لهلكنا!.

أحيانا يكون عندك أجير، أو موظف، فيتكلم كلمة غير مناسبة مع صاحب العمل، فيطرده، ونحن مع الله عز وجل نخطئ مرارا وتكرار، والحمد لله أن الله عز وجل لم يجعل حركات قلوبنا بأيدي بعضنا البعض، ولا ملأ بعضنا أسباب رزق البعض الآخر.

فالله عز وجل يريدنا، فتعالوا البعيد منا يقترب، والقريب منا يزداد قرباً.

أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني.

الآن هذه مادة مهمة، جزء من برنامج الإنسان المسلم هو: ذكر الله تعالى، وورد الذكر واشتقاقاته في القرآن الكريم 262 مرة.

تخلوا في هذا الكتاب، رب العالمين 262 مرة يتكلم عن الذكر، معنى ذلك أن هذا أمر مهم .

المدرّس في المدرسة يعلم ابنك المادة التعليمية، ويكرّرها له عشرين مرة، من أجل أن يحفظ هذه المادة، ونفس الأمر في المعاهد والجامعات، المادة نفسها يكررونها عشرين وثلاثين مرة حتى يحفظها الطالب.

رب العالمين تحدّث لنا 262 مرة عن الذكر، وذلك من أجل أيها المسلم أن تحفظ أن هناك قسماً من برنامجك اليومي، لذكر الله تعالى.

الله تعالى يقول: ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: 152].

﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل:8]. اذكر فعل أمر ، والآمر هو الله سبحانه وتعالى ، إذا كنت تؤمن بأنه الل ، فينبغي عليك أن تلتزم بذكره .

﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف:205]. كلها أفعال أمر، لذلك يقول ابن قيم الجوزية:

(منزلة الذكر هي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون وفيها يتجرون وإليها دائما يترددون) ؛ القوم يعني: أهل القرب من الله ، يقول : أكبر شيء يقربك من الله تعالى ، إنما هو ذكر الله تعالى .

كل يوم تجد عنده جلسة ذكر مع الله عز وجل ، حتى ولو كان جالسا معك تجده سكت ، تقول له: ما بك؟ يقول لك: إني أذكر الله تعالى .
إني ذاهب إلى ربي سيهدين ، وعجلت إليك ربي لترضى .

والذكر منشور الولاية:

إذا أي شخص حُبب إليه الذكر، فبدأ يطرب بالذكر، وبدأ يأنس قلبه بالذكر، فاعلم أنه مشى في طريق الأولياء؛ أول طريق الأولياء الذكر، الذكر منشور الولاية

الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم .

أجسادنا بحاجة إلى طعام، وعقولنا تحتاج إلى أفكار، لكن قلوبنا ماذا تريد؟ تريد وتحتاج ذكراً .

الناس الآن تُسحق وتُحترق، البعيد عن بيوت الله يُحترق، والله إنك تحزن عليه
إعتلالات، أعصاب، تضيقات شرايين، جلطات دماغية، سكّات قلبية، سكري ضغط
نفسى، ما القصة؟

الناس تحترق، والسبب: هذه الضغوط المادية التي تحيط بنا جميعاً، تحتاج إلى شيء
يخففها عنا؛ وذكر الله تعالى هو الذي يخفف هذه الضغوط.

قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]، يجعل
هذه الضغوطات عليك برداً وسلاماً.

وهو قوت قلوب القوم وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق.

نحن كلنا أتينا إلى المسجد، لكن لا تظنوا أن الشيطان وملائه جالسين، بل هم
ينتظرون في الخارج، وينتظرون إنتهاء رمضان، من أجل أن يقطعونا عن هذا الطريق،
ولكن كيف تواجه الشيطان؟

تواجه الشيطان وأتباعه: بذكر الله تعالى.

أحد الصالحين رأى الشيطان (والعياذ بالله)، رآه صغيراً، فقال له: من أنت؟

قال: أنا الشيطان. فقال: مالي أراك مثل العصفور صغيراً؟!

فقال: أنا دخلت فيك وأنا مثل الجزور، وخرجت منك وأنا مثل العصفور.

قال لم؟ قال: تدينني بذكر الله.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

(4)﴾ [الناس] أي عندما تذكر الله تعالى فإن الشيطان يخنس، أي: يتعد

عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((إن الشيطان واضع خطمه في قلب ابن آدم فإذا ذكر خنس، وإذا نسي التقم قلبه إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس))** [البيهقي].

تكون واقفاً على إشارة المرور، وبقي وقت قليل حتى تصبح الإشارة خضراء، تجد الأصوات من خلفك ارتفعت، لا يوجد ذكر، هناك تلف في الأعصاب عند الناس.

تكون واقفاً في رتل في دورك على محل، أو شيء ما، تجد الذي خلفك غاضب ووجهه أحمر ما لك؟ لا يوجد ذكر لله تعالى.

بالمقابل لو رأيت إنساناً ذاكراً يقف نفس الوقفة، لكن هناك سكون وطمأنينة.

قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**

[الرعد: 28].

هذه الصلاة، هي والله من أكبر النعم؛ ذكر الله تعالى والله من أكبر النعم، مساكين أهل الدنيا الذين ينغمسون في الدنيا، والله تكاد تبكي عليهم.

أحد الصالحين يقول:

مساكين أهل الدنيا، دخلوا فيها وخرجوا منها، ولم يذوقوا أحلا ما فيها، قالوا له: وما أحلا ما فيها؟! قال ذكر الله.

مسكين الذي شغله طعامه وشرابه وبيته ومزرعته ومحله، تتلف أعصابه، ولا معين له لا يوجد معين له.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْتَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذِكُرِ اللَّهُ تَعَالَى)). [الترمذي].

خير الأعمال ذكر الله تعالى، قال سيدنا أبو الدرداء:

إن الذين ألسنتهم رطبة من ذكر الله، يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك.

قالت زوجته أم الدرداء:

طلبتُ العبادة في كل شيء، فما وجدت شيئاً أشفى لصدري، ولا أفضل من

الذكر.

شكا رجل قسوة قلبه إلى الحسن البصري، قال: إني أصلي ولا أخشع، فقال له:

ادنُ من مجالس الذكر، أي ابحث عن قوم ممن يذكرون الله تعالى فصاحبهم.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فَضْلاً عَنْ كُتَابِ النَّاسِ فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيَّ بُغْيَتِكُمْ فَيَجِئُونَ فَيُحْفُونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ اللَّهُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُجَدُّونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ فَهَلْ رَأَوْنِي فَيَقُولُونَ لَا قَالَ فَيَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا قَالَ فَيَقُولُ وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ قَالَ فَيَقُولُونَ يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ قَالَ فَيَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ فَيَقُولُونَ لَا قَالَ فَيَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا قَالَ فَيَقُولُ فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ قَالُوا يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لَا فَيَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا هَرَبًا وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا وَأَشَدَّ مِنْهَا

تَعَوُّذًا قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَيَقُولُونَ إِنَّ فِيهِمْ فَلَانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَهُمْ حَاجَةٌ فَيَقُولُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ)). [الترمذي].

هنا رجل جاء إلى المسجد، لكن ليس من أجل أن يصلي، ولا من أجل أن يذكر، ولا من أجل أن يحضر الدرس، لكنه وعد صديقه ليلاقيه في المسجد، من أجل عمل بينهما، أو نحو ذلك.

فتقول الملائكة يا رب إن فيهم فلانا، وليس منهم، فيقول الله تعالى: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

من أجل هؤلاء هذا معهم.

مهما كنت مقصراً فإن قربك من مجالس الصالحين، وجلوسك مع عباد الله الصالحين، بإذن الله تعالى، رب العالمين ينتشلك.

عملوا دراسة لدراسات الطاقة الحديثة، فوجدوا أن كل إنسان منا له طاقة نورانية، والذي عنده برامج عبادية كثيرة تكون عنده هذه الطاقة أكبر، عندما نكون مع بعضنا البعض جماعة فالضعيف يأخذ من القوي، من أجل ذلك صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد، حتى إنك تشعر أنك عندما تصلي مع الجماعة في الفجر، أو الظهر، أو العصر، أو المغرب، أو العشاء، أو التراويح، تشعر أنك هناك شداً روحياً أكبر، ولعل ذلك ببركة رجل صالح، فكيف إذا كان هناك مجموعة أناس صالحين ينتشلونك!.

قال ثابت البناني:

"إن أهل الذكر يجلسون للذكر، وعليهم من الذنوب أمثال الجبال، فيقومون وليس عليهم ذنب واحد"

فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه.

فتعالوا كل منا يجعل لنفسه وظيفة يومية، وقت للذكر، أقل شيء ربع ساعة في الصيف والشتاء والربيع والخريف.

هل تسمعون في الشام بعائلة المولوي، وعائلة النقشبندي، وعائلة القادري، وعائلة الجيلاني، وعائلة الرفاعي، وعائلة الصوفي، ما هذه؟

هذه أسماء طرق في الذكر، صارت أسماء طرق الذكر ألقاب لعائلاتهم، لم يكن هناك أحد من أهل الشام أبدا كبيرا أو صغيرا فقيرا أو غنيا وزيرا أو أميراً، إلا عنده وظيفة من الذكر، في كل يوم، كل يوم، ومن أجل ذلك تسمعون أنه كانت عندهم بركة.

ولنعلم أنه إذا مرّ المسلم الذاكر على مكان، قالت الأرض لجارتها: هل مرّ عليك ذاكر لله تعالى مثلي (أنا اليوم مر علي ذاكر أنت هل مر عليك ذاكر) فإذا كان الحجر يتأثر بذكر الله تعالى، فما حالنا نحن!.

ختاماً فليجعل كل واحد منا لنفسه كل يوم وقتاً مخصصاً للذكر، تسبيح وتحميد وتكبير، أي شيء تريده، المهم أن يكون لك ذكر لله تعالى.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذاكرين.

اللهم اجعلنا ذاكرين لك ذكراً كثيراً، واجمعنا مع الذاكرين، واحشرنا مع الذاكرين، وأدخلنا الجنة مع الذاكرين، وحببنا بعبادك الذاكرين، وحبب فينا عبادك الذاكرين. آمين اللهم آمين، وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.